

زاد المسير في علم التفسير
ابن الجوزي
سورة النحل

فصل في نزولها

روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية، وكذلك روي عن الحسن، وعكرمة، وعطاء: أنها مكية [كلها] وقال ابن عباس في رواية: إنه نزل منها بعد قتل حمزة: {وَأَنْ * عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل 126]، وقال في رواية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله: {وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا} إلى قوله: {يَعْمَلُونَ} [النحل 95 97]. وقال الشعبي: كلها مكية إلى قوله: {وَأِنْ عَاقِبْتُمْ} إلى آخر الآيات [النحل 126 128]. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات: {وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا} الآيتين [النحل 95 96]، ومن قوله: {وَأِنْ عَاقِبْتُمْ} إلى آخرها [النحل 126]. وقال ابن السائب: هي مكية إلا خمس آيات: {وَلِذِينَ هَجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} الآية [النحل 41] وقوله: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} الآية [النحل 110] وقوله: {وَأِنْ عَاقِبْتُمْ} إلى آخرها [النحل 126]. وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات، قوله: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَجَرُوا} الآية [النحل 110] وقوله: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} الآية [النحل 106] وقوله: {وَلِذِينَ هَجَرُوا فِي اللَّهِ} الآية [النحل 41]، وقوله: {وَوَضَّرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً} الآية [النحل 112] وقوله: {وَأِنْ عَاقِبْتُمْ} إلى آخرها [النحل 126]. قال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل: أربعون آية بمكة وبقيتها بالمدينة. وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقال لسورة النحل: سورة النعم؛ يريد لكثرة تعداد النعم فيها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{أَتَىٰ أَمْرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}
قوله تعالى: {أَتَىٰ أَمْرٌ لِلَّهِ} قرأ حمزة، والكسائي بالإمالة.
سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: {فُتِّرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر 1]، فقال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء؛ قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى {فُتِّرَبَتِ لِلنَّاسِ حِسْبُهُمْ} [الأنبياء: 1] فأشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به.

فأنزل الله تعالى: { أَتَىٰ أَمْرٌ ٱللَّهُ }، فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: { فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } فاطمأنوا، قاله ابن عباس. وفي قوله: { أَتَىٰ } ثلاثة أقوال.

أحدها: أتى بمعنى: يأتي، كما يقال: أتاك الخير فأبشر، أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة، وشاهده: { وَتَادَىٰ أَصْحَابُ لُجَّةٍ } [الأعراف 44]، { وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ لِيُعِيسَىٰ عِيسَىٰ } [المائدة 116] ونحو ذلك.

والثاني: أتى بمعنى: قرب، قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى.

والثالث: أن «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو: الجذب الذي نزل بهم، والجوع. { فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } فينزل بكم مستقبلا كما نزل ماضيا، قاله ابن الأنباري.

وفي المراد ب «أمر الله» خمسة أقوال.

أحدها: أنها الساعة، وقد يخرج على قول ابن عباس الذي قدمناه، وبه قال ابن قتيبة. والثاني: خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس، يعني: أن خروجه من أمارات الساعة.

وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشراط الساعة، فلا تستعجلوا قيام الساعة. والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك. والرابع: عذاب الله، ذكره ابن الأنباري. والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } أي:

لا تطلبوه قبل حينه، { سُبْحٰنَهُ } أي: تنزيه له وبراءة من سوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: { يُنَزِّلُ ٱلْمَلٰٓئِكَةَ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: { يُنَزِّلُ } باسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ينزل» بالتشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: { تُنَزَّلُ } بالثناء مضمومة، وفتح الزاي مشددة. { لِمَلٰٓئِكَةٍ } رفع. قال ابن عباس: يريد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده.

وفي المراد بالروح ستة أقوال.

أحدها: الوحي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: أنه النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: أن المعنى: تنزل الملائكة بأمره، رواه العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كله روح. قال الزجاج: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس بالإرشاد.

والرابع: أنه الرحمة. قاله الحسن، وقتادة.
والخامس: أن أرواح الخلق: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد.
والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى هذا سماه روحا، لأن الدين يحيا به،
كما أن الروح تحيي البدن. وقال بعضهم: الباء في قوله: {بِالرُّوحِ} بمعنى:
مع، فالتقدير: مع الروح، {مِنْ أَمْرِهِ} أي: بأمره {عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}
يعني: الأنبياء، {أَنْ أَنْذِرُوا} قال الزجاج: والمعنى: أنذروا أهل الكفر
والمعاصي {أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} أي: مروهم بتوحيدي، وقال غيره: أنذروا بأنه لا
إله إلا أنا، أي: مروهم بالتوحيد مع تخويفهم إن لم يقرؤا.

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}
قوله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ} قال المفسرون: أخذ أبي بن خلف
عظما رميما، فجعل يفته ويقول: يا محمد كيف يبعث الله هذا بعدما رم؟
فنزلت فيه هذه الآية والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهر الخصومه.
والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل
بأولة على آخرة، وأن من قدر على إيجادة أولا، يقدر على إعادته ثانية؟ وفيه
تنبيه على إنعام الله عليه حين نقلة من حال ضعف النطفة إلى القوة التي
أمكنة معها الخصام.

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَمْتَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ}

قوله تعالى: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ} الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.
قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} فيه قولان.
أحدهما: أنه ما استدفىء به من أوبارها تتخذ ثيابا، وأخبية، وغير ذلك. روى
العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدفء: اللباس، وإلى هذا المعنى ذهب
الأكثر.

والثاني: أنه نسلها. روى عكرمة عن ابن عباس: {فِيهَا دِفْءٌ} قال: الدفء:
نسل كل دابة، وذكر ابن السائب قال: يقال: الدفء أولادها، ومن لا يحمل من
الصغار، وحكى ابن فارس اللغوي عن الأموي، قال: الدفء عند العرب: نتاج
الإبل وألبانها.

قوله تعالى: {وَمَمْتَعٌ} أي: سوى الدفء من الجلود، والألبان، والنسل،
والركوب، والعمل عليها، إلى غير ذلك، {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} يعني: من لحوم
الأنعام.

قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} أي: زينة، {حِينَ تُرِيحُونَ} أي: [حين] تردونها إلى مراحلها، وهو المكان الذي تأوي إليه، فترجع عظام الضروع والأسنمة، فيقال: هذا مال فلان، {وَحِينَ تَسْرَحُونَ}: ترسلونها بالغداة إلى مراعيها.

فإن قيل: لم قدم الرواح وهو مؤخر؟
فالجواب: أنها في حال الرواح تكون أجمل؛ لأنها قد رعت، وامتلت ضروعها، وامتدت أسنمتها.

قوله تعالى: {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ} الإشارة بهذا إلى ما يطيق الحمل منها، والأثقال: جمع ثقل، وهو متاع المسافر.

وفي قوله تعالى: {إِلَى بَلَدٍ} قولان.

أحدهما: أنه عام في كل بلد يقصده المسافر، وهو قول الأكثرين.
والثاني: أن المراد به: مكة، قاله عكرمة، والأول أصح، والمعنى: أنها تحملكم إلى كل بلد لو تكلفتم أنتم بلدغه لم تبلغوه إلا بشق الأنفس.
وفي معني «شق الأنفس» قولان.

أحدهما: أنه المشقة، قاله الأكثرون. قال ابن قتيبة: يقال: نحن بشق من العيش، أي: بجهد؛ وفي حديث أم زرع: «وجدني في أهل غنيمة بشق».
والثاني: أن الشق: النصف، فكان الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء.

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ} أي: حين من عليكم بالنعم التي فيها هذه المرافقي.

{وَلِخَيْلٍ وَ لِبِعَالٍ وَ لِحَمِيرٍ لِيَتْرَكْبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

قوله تعالى: {وَلِخَيْلٍ} أي: وخلق الخيل {وَلِبِعَالٍ وَ لِحَمِيرٍ لِيَتْرَكْبُوهَا وَ زِينَةً} قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة.

فصل

ويجوز أكل لحم الخيل، وإنما لم يذكر في الآية، لأنه ليس هو المقصود، وإنما معظم المقصود بها: الركوب والزينة، وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا تؤكل لحوم الخيل.

قوله تعالى: {وَيَخْلُقُ * مَا لَا * تَعْلَمُونَ} ذكر قوم من المفسرين: أن المراد به عجائب المخلوقات في السموات والأرض التي لم يطلع عليها، مثل ما يروى: أن لله ملكا من صفته كذا، وتحت العرش نهر من صفته كذا. وقال قوم: هو ما أعد الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار. وقال أبو سليمان

الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن.

{ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِئُكُمْ بِهِ إِلَازَعٌ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا قصد بك ما تريد. قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحج والبرهان.
قوله تعالى: { وَمِنْهَا جَائِرٌ } قال أبو عبيدة: السبيل لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجمع، فكأنه قال: ومن السبل سبيل جائر. قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دل على السبل. فلذلك قال: { وَمِنْهَا جَائِرٌ } كما دل الحدثان على الحوادث في قول العبدى:
ولا يبقى على الحدثان حي فهل يبقى عليهن السلام

أراد: فهل يبقى على الحوادث، والسلام: الصخور، قال ويجوز أن يكون إنما قال: { وَمِنْهَا }، لأن السبيل تؤنث وتذكر، فالمعنى: من السبيل جائر. وقال ابن قتيبة: المعنى: ومن الطرق جائر لا يهتدون فيه، والجائر: العادل عن القصد، قال ابن عباس: ومنها جائر الأهواء المختلفة. وقال ابن المبارك: الأهواء والبدع.

قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } يعني: المطر { لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ } وهو ما تشربونه، { وَمِنْهُ شَجَرٌ } ذكر ابن الأنباري في معناه قولين، أحدهما: ومنه سقى شجر، وشرب شجر، فحلف المضاف إليه المضاف، كقوله: { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ لِعَجَلٍ } [البقرة 93].

والثاني: أن المعنى: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه شجر، ومن ناحيته شجر، فحذف الأول، وخلفه الثاني، قال زهير:
لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن شهر

أي: من ممر حجج. قال ابن قتيبة: والمراد بهذه الشجر: المرعى. وقال الزجاج: كل ما نبت على الأرض فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:
يعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر

يعني:

أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض. و { تُسَيِّمُونَ } بمعنى: ترعون، يقال: سامت الإبل فهي سائمة: إذا رعت، وإنما أخذ ذلك من السومة، وهي: العلامة، وتأويلها: أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات. قوله تعالى: { يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الْزَّرْعَ } وروى أبو بكر عن عاصم: «نبتت» بالنون. قال ابن عباس: يريد الحبوب، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: { وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ } قال الأخفش: المعنى: وجعل النجوم مسخرات، فجاز إضمار فعل غير الأول، لأن هذا المضمرة، في المعنى مثل المظهر، وقد تفعل العرب أشد من هذا، قال الراجز:

تسمع في أجوافهن صردا وفي اليدين جساءة وبددا

المعنى: وتري في اليدين. والجساءة: اليبس. والبدد: السعة. وقال غيره: قوله تعالى: { مُسَخَّرَاتٍ } حال مؤكدة، لأن تسخيرها قد عرف بقوله تعالى: { وَسَخَّرَ } وقرأ ابن عامر: والشمس والقمر والنجوم مسخرات، رفعا كله، وروى حفص عن عاصم: بالنصب، كالجمهور، إلا قوله تعالى: { وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ } فإنه رفعها.

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ لَيْلَ وَنَهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ قَبْضَتِهَا وَتَرَى الْفُلَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِيَبْتَلِيَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ } أي: وسخر ما ذرأ لكم، وذرأ بمعنى: خلق. و«سخر البحر» أي: ذلله للركوب والغوص فيه { لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا } يعني: السمك { وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ قَبْضَتِهَا } يعني: الدر، واللؤلؤ، والمرجان، وفي هذا دلالة على أن حالفا لو حلف: لا يلبس حليا، فلبس لؤلؤا، أنه يحنث، وقال أبو حنيفة: لا يحنث.

قوله تعالى: { وَتَرَى الْفُلَ } يعني: السفن. وفي معنى { مَوَاجِرَ } قولان. أحدهما: جوارى، قاله ابن عباس. قال اللغويون: يقال: مخرت السفينة مخرأ: إذا شقت الماء في جريانها.

والثاني: المواقر، يعني: المملوءة، قاله الحسن. وفي قوله تعالى: { وَلِيَبْتَلِيَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ } قولان.

أحدهما: بالركوب فيه للتجارة ابتغاء الربح من فضل الله.
والثاني: بما تستخرجون من حليته، وتصيدون من حيتانه. قال ابن الأنباري:
وفي دخول الواو في قوله تعالى: {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} وجهان.
أحدهما: أنها معطوفة على لام محذوفة، تقديره: وترى الفلك مواخر فيه
لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا.
والثاني: أنها دخلت لفعل مضمرة، تقديره: وفعل ذلك لكي تبتغوا.
قوله تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} أي: نصب فيها جبلا ثوابت {أَنْ
تَمِيدَ} أي: لئلا تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد
ميذا: إذا أدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والميل، يقال: فلان يميد في
مشيته، أي: يتكفا.
قوله تعالى: {وَأَنْهَرًا} قال الزجاج:
المعنى: وجعل فيها سبلا، لأن معنى «ألقى» «جعل»، فأما السبل، فهي
الطرق. {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أي: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.
قوله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ} فيها ثلاثة أقوال.
أحدها: أنها معالم الطرف بالنهار، وبالنجم هم يهتدون وبالليل، رواه العوفي
عن ابن عباس.
والثاني: أنها النجوم أيضا، منها ما يكون علامة لا يهتدى به، ومنها ما يهتدى به،
قاله مجاهد، وقتادة، والنخعي.
والثالث: الجبال، قاله ابن السائب، ومقاتل.
وفي المراد بالنجم أربعة أقوال.
أحدها: أنه الثريا، والفرقدان، وبنات نعش، والجدي، قاله السدي.
والثاني: أنه الجدي، والفرقدان، قاله ابن السائب.
والثالث: أنه الجدي وحده، لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه، ذكره الماوردي.
والرابع: أنه اسم جنس، والمراد جميع النجوم، قاله الزجاج، وقرأ الحسن،
والضحاك، وأبو المتوكل، ويحيى بن وثاب: «وبالنَّجْم» بضم النون وإسكان
الجيم، وقرأ الجحدري: «وبالنَّجْم» بضم النون والجيم، وقرأ مجاهد:
«وبالنجوم» بواو على الجمع.
وفي المراد بهذا الاهتداء قولان.
أحدهما: الاهتداء إلى القبلة، والثاني: إلى الطريق في السفر.
{إِقَمَّنْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ
اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ {

قوله تعالى: { أَقَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ } يعني: الأوثان، وإنما عبر عنها بـ «من»، لأنهم نحلوها العقل والتمييز، { أَقَلًّا تَذَكَّرُونَ } يعني: المشركين، يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون؟ قال الفراء: وإنما جاز أن يقول: { كَمَن لَّا يَخْلُقُ }، لأنه ذكر مع الخالق كقوله: { فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ } [النور 45] والعرب تقول: اشتبه علي الراكب وجمله، فما أدري من ذا، من ذا لأنهم لما جمعوا بين الإنسان وغيره، صلحت «مَن» فيهما جميعاً.

قوله تعالى: { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } قد فسرناه في [إبراهيم: 34].

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ } أي: لما كان منكم من تقصيركم في شكر نعمه { رَّحِيمٌ } بكم إذ لم يقطعها عنكم بتقصيركم.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } روى عبد الوارث، إلا القزاز «يسرون» و «يعلنون» بالياء.

{ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَآ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }

قوله تعالى: و { الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } قرأ عاصم: يدعون، بالياء. قوله تعالى: { أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ } يعني: الأصنام. قال الفراء: ومعنى الأموات هاهنا: أنها لا روح فيها. قال الأخفش: وقوله: { غَيْرُ أَحْيَاءٍ } توكيد. قوله تعالى: { وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } «أيان» بمعنى: متى. وفي المشار إليهم قولان.

أحدهما: أنها الأصنام، عبر عنها كما يعبر عن الآدميين. قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فيتبرؤون من عبادتهم، ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار. والثاني: أنهم الكفار، لا يعلمون متى بعثهم، قاله مقاتل.

{ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ * لَآ جَزْمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَآ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارٍ لَّذِينَ يَصِلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ * قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّن لِّقْوَاعِدٍ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ فَمِن قَوْعِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَآ يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ لِيَوْمَ وَ السُّورَةِ عَلَى الْكٰفِرِينَ }

قوله تعالى: {إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ} قد ذكرناه في سورة [البقرة 163].
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} أي: بالبعث والجزاء {قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ} أي: جاحدة لا تعرف التوحيد {وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} أي: ممتنعون من قبول الحق.

قوله تعالى: {لَا جَرَمَ} قد فسرناه في [هود 22] ومعنى الآية: أنه يجازيهم بسرهم وعلنهم، لأنه يعلمه. والمستكبرون: المتكبرون عن التوحيد والإيمان. وقال مقاتل: «ما يسرون» حين بعثوا في كل طريق من يصد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، «وما يعلنون» حين أظهروا العداوة لرسول الله.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني: المستكبرين {مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ} على محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال الزجاج: «ماذا» بمعنى «الذي» و {أَسْطِيزُ الْأُولِينَ} مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الذي أنزل: أساطير الأولين، أي: الذي تذكرون أنتم أنه منزل: أساطير الأولين. وقد شرحنا معنى الأساطير في {الأنعم}. قال مقاتل: الذين بعثهم الوليد بن المغيرة في طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان، ويقول بعضهم: إن محمدا ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، وقد شرحنا هذا المعنى في {لِحَجَرَ} في ذكر المقتسمين.

قوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ} هذه لام العاقبة، وقد شرحناها في غير موضع، والأوزار: الآثام، وإنما قال: كاملة، لأنه لم يكفر منها شيء بما يصيبهم من نكبة، أو بلية، كما يكفر عن المؤمن، {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي: أنهم أضلوهم بغير دليل، وإنما حملوا من أوزار الأتباع، لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة، وقد ذكر ابن الأنباري في «من» وجهين. أحدهما: أنها للتبعيض، فهم يحملون ما شركوهم فيه، فأما ما ركبه أولئك باختيارهم من غير تزيين هؤلاء، فلا يحملونه، فيصح معنى التبعيض. والثاني: أن «من» مؤكدة، والمعنى: وأوزار الذين يضلونهم. {أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ} أي: بئس ما حملوا على ظهورهم.

قوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} قال المفسرون: يعني به: النمرود ابن كنعان، وذلك أنه بنى صرحا طويلا. واختلفوا في طوله، فقال ابن عباس: خمسة آلاف ذراع، وقال مقاتل: كان طوله فرسخين، قالوا: ورام أن يصعد إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. ومعنى «المكر» هاهنا: التدبير الفاسد. وفي الهاء والميم من «قبلهم» قولان.

أحدهما: أنها للمقتسمين على عقاب مكة، قاله ابن السائب.

والثاني: لكفار مكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { فَأَتَى اللَّهَ بُنِيَتَهُمْ مِّنَ لِّقَوَاعِدٍ } أي: من الأساس. قال المفسرون: أرسل الله ريحا فالقت رأس الصرح في البحر، وخر عليهم الباقي.

قال السدي: لما سقط الصرح، تبلبلت ألسن الناس من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت «بابل»، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، وهذا قول مردود، لأن التبلبل يوجب الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى.

فإن قيل: إذا كان الماكر واحدا، فكيف قال: «الذين» ولم يقل: «الذي»؟ فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه كان الماكر ملكا له أتباع، فأدخلوا معه في الوصف.

والثاني: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة على البغال، وإنما خرج على بغل واحد.

والثالث: أن «الذين» غير موقع على واحد معين، لكنه يراد به: قد مكر الجبارون الذين من قبلهم، فكان عاقبة مكرهم رجوع البلاء عليهم، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري: قال: وذكر بعض العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لينبه على أنهم كانوا تحته،

إذ لو لم يقل ذلك، لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته، لأن العرب تقول: سقط علينا البيت، وخر علينا الحانوت، وتداعت علينا الدار، وليسوا تحت ذلك.

قوله تعالى: { وَأَتَاهُمُ لَعَذَابٌ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } أي: من حيث ظنوا أنهم آمنون فيه. قال السدي: أخذوا من مآمنهم. وروى عطية عن ابن عباس قال: خر عليهم عذاب من السماء. وعامة المفسرين على ما حكيناه من أنه بنيان سقط. وقال ابن قتيبة: هذا مثل، والمعنى: أهلكتهم الله، كما هلك من هدم مسكنه من أسفله، فخر عليه.

قوله تعالى: { ثُمَّ يَوْمَ لِقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ } أي: يذلهم بالعذاب. { وَيَقُولُ أَيِّنَ شُرَكَائِيَ } قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، «شركائي» الذين بهمزة وفتح الياء، وقال البزي عن ابن كثير: «شركائي» مثل: هدايي، والمعنى: أين شركائي على زعمكم؟ هلا دفعوا عنكم. { لِّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ } أي: تخالفون المسلمين فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع: «تشاقون» بكسر النون، أراد: تشاقونني، فحذف النون الثانية،

وأبقى الكسرة تدل عليها، والمعنى: كنتم تنازعونني فيهم، وتخالفون أمري لأجلهم.

قوله تعالى: { قَالَ لِّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ } فيهم ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس.

والثاني: الحفظة من الملائكة، قاله مقاتل.

والثالث: أنهم المؤمنون.

فأما «الخزي» فقد شرحناه في مواضع [آل عمران 192] و «السوء» هاهنا: العذاب.

{ لِّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ لَمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْاْ ٱلسَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَٱدْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَلِيلٌ مِّنْ مَّا كُنْتُمْ لِمُتَكَبِّرِينَ }

قوله تعالى: { لِّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ لَمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ } قال عكرمة: هؤلاء قوم كانوا بمكة أقروا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرجهم المشركون كرها إلى بدر، فقتل بعضهم. وقد شرحنا هذا في سورة [النساء 97].

قوله تعالى: { فَأَلْقَوْاْ ٱلسَّلَامَ } قال ابن قتيبة: انقادوا واستسلموا، والسلام:

الاستسلام. قال المفسرون: وهذا عند الموت يتبرؤون من الشرك، وهم

قولهم: { كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ } وهو الشرك، فترد عليهم الملائكة فتقول:

«بلى». وقيل: هذا رد خزنة جهنم عليهم { بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

{ من الشرك والتكذيب. ثم يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، وقد سبق تفسير ألفاظ الآية [النساء 97] و [الحجر 44].

{ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ * جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ * لِّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ لَمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ٱلَّذِينَ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ } روى أبو صالح عن ابن

عباس أن مشركي قريش بعثوا ستة عشر رجلا إلى عقاب مكة أيام الحج على

طريق الناس، ففرقوهم على كل عقبة أربعة رجال، ليصدوا الناس عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا لهم: من أتاكم من الناس يسألكم عن محمد

فليقل بعضكم: شاعر، وبعضكم: كاهن، وبعضكم: مجنون، وألا تروه ولا يراكم

خير لكم، فإذا انتهوا إلينا، صدقناكم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فبعث إلي كل أربعة منهم أربعة من المسلمين، فيهم عبد الله بن

مسعود، فأمروا أن يكذبوهم، فكان الناس إذا مروا على المشركين، فقالوا ما

قالوا، رد عليهم المسلمون، وقالوا: كذبوا، بل يدعو إلى الحق، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ لَدُنِّيَا حَسَنَةٌ} . قوله تعالى: {قَالُوا خَيْرًا} أي: أنزل خيرا، ثم فسر ذلك الخير فقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ لَدُنِّيَا} قالوا: لا إله إلا الله، وأحسنوا العمل {حَسَنَةٌ} أي: كرامة من الله تعالى في الآخرة، وهي الجنة، وقيل: «للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة» في الدنيا وهي ما رزقهم من خيرها وطاعته فيها، {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ} يعني: الجنة {حَيْرٌ} من الدنيا.

وفي قوله تعالى: {وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} قولان. أحدهما: أنها الجنة، قاله الجمهور. قال ابن الأنباري: في الكلام محذوف، تقديره: ولنعم دار المتقين الآخرة، غير أنه لما ذكرت أولا، عرف معناها آخرا، ويجوز أن يكون المعنى: ولنعم دار المتقين جنات عدن. والثاني: أنها الدنيا. قال الحسن:

ولنعم دار المتقين الدنيا، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة.

قوله تعالى: {حَبَّتِ عَدْنٌ} قد شرحناه في [براءة: 72]. قوله تعالى: {لِذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ لِمَلَائِكَةٍ} وقرأ حمزة «يتوفاهم» بياء مع الإمالة. وفي معنى «طيبين» خمسة أقوال.

أحدها: مؤمنين. والثاني: طاهرين من الشرك. والثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم. والرابع: طيبة وفاتهم، سهل خروج أرواحهم. والخامسة: طيبة أنفسهم بالموت، ثقة بالثواب.

قوله تعالى: {يَقُولُونَ} يعني الملائكة {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} .

وفي أي وقت يكون هذا [السلام]؟ فيه قولان.

أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرظي: ويقول له: الله عز وجل يقرأ عليك السلام، ويبشره بالجنة.

والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة يقولون: سلام عليكم.

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ لِمَلَائِكَةٍ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} .

قوله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ لِمَلَايِكَةٌ } وقرأ حمزة، والكسائي «يأتيهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركين، وقد شرحناه في {البقرة 210} وآخر {الأنعم}.

وفي قوله تعالى: { أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ } قولان.

أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } يريد: كفار الأمم الماضية، كذبوا كما كذب هؤلاء { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ } بأهلاكمهم { وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }، بالشرك { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا } أي: جزاؤها، قال ابن عباس: جزاء ما عملوا من الشرك، { وَحَاقَ بِهِمْ } قد بيناه في {الأنعم} والمعنى: أحاط بهم { مَا كَانُوا بِهِ } من العذاب.

{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا لِبَلِّغِ لِمُبِينٍ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَحِجِّبُوا لَطَاعَاتٍ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ * إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ }

قوله تعالى: { يَسْتَهْزِءُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا } يعني: كفار مكة { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } يعني: الأصنام أي لو شاء ما أشركنا ولا حرمننا من دونه من شيء من البحيرة، والسيائة، والوصيلة، والحام، والحرث، وذلك أنه لما نزل { تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } [الدهر 30] قالوا هذا، على سبيل الاستهزاء، لا على سبيل الاعتقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا ويرده منا، لم نأته.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } أي: من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، { فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا لِبَلِّغِ لِمُبِينٍ } يعني: ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية، فهي إلى الله تعالى، وبين ذلك بقوله: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا } أي: كما بعثناك في هؤلاء { أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ } أي: وحدوه { وَحِجِّبُوا لَطَاعَاتٍ } وهو الشيطان { فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ } أي: أرشده { وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } أي: وجبت في سابق علم الله، فأعلم الله عز وجل أنه إنما بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، { فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ } أي: معتبرين بأثار الأمم المكذبة. ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا

يهدي، فقال: {إِنْ تَحْرَصْ عَلَيَّ هُدَاهُمْ} أي: [إن] تطلب هداهم بجهدك {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، «لا يهدي» برفع الياء وفتح الدال، والمعنى: من أضله، فلا هادي له، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في {يُضِلُّ} أنها بضم الياء وكسر الصاد، وهذه القراءة تحتل معنيين، ذكرهما ابن الأنباري. أحدهما: لا يهدي من طبعه ضالا، وخلقه شقيا.

والثاني: لا يهدي أي: لا يهدي من أضله، أي من أضله الله لا يهدي، فيكون معنى يهدي: يهدي، تقول العرب: قد هدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى.

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} * لِيُبَيِّنَ لَهُمْ لِيذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ هَجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} * لِيُبَيِّنَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟ فأقسم بالله {لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ}، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. و {جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} مفسر في [المائدة 53] وقوله: {بَلَىٰ} رد عليهم، قال الفراء: والمعنى: {بَلَىٰ} ليعبثهم {وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا}.

قوله تعالى: {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ لِيذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ} قال الزجاج: يجوز أن يكون متعلقا بالبعث، فيكون المعنى: يلي يبعثهم فيبين لهم، ويجوز أن يكون متعلقا بقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا} ليبين لهم، وللمفسرين في قوله {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} قولان.

أحدهما: أنهم جميع الناس، قاله قتادة. والثاني: أنهم المشركون، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: {أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ} أي: فيما أقسموا عليه من نفي البعث. ثم أخبر بقدرته على البعث بقوله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة «فيكون» رفعا، وكذلك في كل القرآن. وقرأ ابن عامر، والكسائي «فيكون» نصبا قال مكي بن إبراهيم: من رفع، قطعه عما قبله، والمعنى: فهو يكون، ومن نصب، عطفه على «يقول» وهذا مثل قوله: {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} وقد فسرناه في {البقرة 117}.

فإن قيل: كيف سمي الشيء قبل وجوده شيئاً؟
فالجواب: أن الشيء وقع على المعلوم عند الله قبل الخلق، لأنه بمنزلة ما قد عوين وشوهد.

قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ هَجَرُوا فِي اللَّهِ } اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلال، وعمار، وصهيب، وخباب بن الأرت، وعائش وجبر موليان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يعذبونهم، ليردوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند. والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله قتادة: ومعنى «هاجروا في الله» أي: في طلب رضاه وثوابه { مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا } بما نال المشركون منهم، { لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً } وفيها خمسة أقوال. أحدها: لنزلتهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقتادة، فيكون المعنى: لنُبَوِّئَهُمْ داراً حسنة وبلدة حسنة. والثاني: لنرزقهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدو، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: { لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً } قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لنحسن إليهم في الدنيا، قال بعض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لنبوئهم»، على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: { وَلَا جُزْءَ مِنَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ } قال ابن عباس: يعني: الجنة، { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } يعني: أهل مكة.

ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية.

ثم إن الله أثنى عليهم ومدحهم بالصبر فقال: { الَّذِينَ صَبَرُوا } أي: على دينهم، لم يتركوه لأذى نالهم، وهم في ذلك واثقون بربهم.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُبَوِّئُ الْإِنْسَانَ أَهْلَ الدُّنْيَا إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * لَبِئْسَ الْوَعْدُ لِلَّذِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا } قال المفسرون: لما أنكروا مشركو قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: الله أعظم من أن

يكون رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكا: فنزلت هذه الآية، والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميين، إلا أنهم يوحى إليهم، وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون وكسر الحاء. { وَ سَأَلُوا } يامعشر المشركين { أَهْلَ الذِّكْرِ } وفيهم أربعة أقوال.

أحدها: أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أهل التوراة، قاله مجاهد. والثالث: أهل القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: العلماء بأخبار من سلف، ذكره الماوردي.

وفي قوله تعالى: { إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } قولان.

أحدهما: لا تعلمون أن الله تعالى بعث رسولا من البشر.

والثاني: لا تعلمون أن محمدا رسول الله، فعلى القول الأول، جائز أن يسأل من آمن برسول الله ومن كفر، لأن أهل الكتاب والعلم بالسيرة متفقون على أن الأنبياء كلهم، من البشر، وعلى الثاني إنما يسأل من آمن من أهل الكتاب، وقد روي عن مجاهد { وَ سَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ } قال: عبد الله بن سلام، وعن قتادة، قال: سليمان الفارسي.

قوله تعالى: { بِ لَبِيَّتٍ وَ الزُّبُرِ } في هذه «الباء» قولان.

أحدهما: أن في الكلام تقديما وتأخيرا، تقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أرسلناهم بالبينات. والزبير: الكتب. وقد شرحنا في [آل عمران 184].

قوله تعالى: { وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ } وهو القرآن باجماع المفسرين { لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [فيه] من حلال وحرام، ووعد ووعيد { وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } في ذلك فيعتبرون.

{ أَقَامِينَ لِيَذِينَ مَكْرُوا أَلْسِيَّتَاتِ أَنْ يَحْسِفِي أَلَلَّهُ بِهِمْ أَلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ أَلْهُدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ }

قوله تعالى: { أَقَامِينَ لِيَذِينَ مَكْرُوا أَلْسِيَّتَاتِ } قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكرًا، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمنوا

العقوبة، وكان مجاهد يقول: عني بهذا الكلام نمرود بن كنعان.

قوله تعالى: { أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك، وابن جريج، ومقاتل.

والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: { أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ } فيه قولان.

أحدهما: على تنقص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة: التخوف: التنقص، ومثله التخون. يقال: تخوفته الدهور وتخونتته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التخوف: التنقص، بلغة أزد شنوءة.

ثم في هذا التنقص ثلاثة اقوال. أحدها: أنه تنقص من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضا. والثالث: تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج.

والثاني: أنه التخوف نفسه، ثم فيه قولان. أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني: أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي تليها، فعلى هذا، خوفهم قبل هلاكهم، فلم يتوبوا، فاستحقوا العذاب.

قوله تعالى: { فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } إذ لم يعجل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

{ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعًا ظَلَلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذُخْرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ لِمَلَائِكَةٍ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخْفُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } قوله تعالى: { أَوْ لَمْ يَرَوْا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أولم يروا» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالتاء، واختلف عن عاصم.

قوله تعالى: { إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ } أراد من شيء له ظل، من جبل، أو شجر، أو جسم قائم { يَتَّبِعًا } قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب

بالتاء { ضلاله } وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يراد به الكثرة، كقوله تعالى: { تَزَكَّبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ } [الزخرف 13] قال

ابن قتيبة: ومعنى يتفياً ظلاله: يدور ويرجع من جانب، إلى جانب والفيء:

الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق.

قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل

قدامك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت

للغروب كان على يسارك، وإنما وحد اليمين، والمراد به: الجمع، أجازا في

اللغظ، كقوله تعالى: { وَيُولُونَ الدَّبْرَ } [القمر 45]، ودلت «الشمائيل» على

أن المراد به الجميع، وقال الفراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشمائيل، ولم يقل:

الشمال، لأن كل ذلك جائز في اللغة، وأنشد:

الواردون وتيم في ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل: جلود، ومثله:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص

وإنما جاز التوحيد، لأن أكثر الكلام يواجه به الواحد.
وقال غيره: اليمين راجعة إلى لفظ ما، وهو واحد، والشمائل راجعة إلى
المعنى.

قوله تعالى: {سُجَّدًا لِلَّهِ} قال ابن قتيبة: مستسلمة، منقادة، وقد شرحنا هذا
المعنى عند قوله تعالى: {وَوَظِلُّهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ} [الرعد 15].
وفي قوله تعالى: {وَهُمْ ذَخِرُونَ} قولان.
أحدهما: والكفار صاغرون.

والثاني: وهذه الاشياء داخرة مجبولة على الطاعة. قال الأخفش: إنما ذكر من
ليس من الإنس، لأنه لما وصِفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل.
قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ لِلَّهِ السَّمَوَاتِ} الآية. الساجدون على ضربين.
أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة.

والثاني: من لا يعقل، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على
أنه فمخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:
بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

قال ابن قتيبة: حجراته، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم
ووطئتها حتى خشعت وانخفضت. فأما الشمس والقمر والنجوم، فألحقها
جماعة بمن يعقل، فقال أبو العالية: سجودها حقيقة، ما منها غارب إلا خر
ساجدا بين يدي الله عز وجل، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، ويشهد لقول أبي
العالية، حديث أبي ذر قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر تدرى أين ذهبت الشمس»
قلت لله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل
فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها فكانها قد قيل لها، ارجعي من حيث جئت،
فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها»، ثم قرأ: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
{ [يس 38] أخرجه البخاري ومسلم. وأما النبات والشجر، فلا يخلو سجوده
من أربعة أشياء.

أحدها: أن يكون سجودا لا نعلمه، وهذا إذا قلنا: إن الله يودعه فهما. والثاني:
أنه تفيؤ ظلالة. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سخر له.
قوله تعالى: {وَوَلَمَلِكَةٌ} إنما أخرج الملائكة من الدواب، لخروجهم بالأجنحة
عن صفة الديب.

وفي قوله: { وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخْفُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ قُوِّهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } قولان.

أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل.
والثاني: أنه عام في جميع المذكورات، قاله أبو سليمان الدمشقي.
وفي قوله: { مِّنْ قُوِّهِمْ } قولان. ذكرهما ابن الأنباري.
أحدهما: أنه ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عاليا
رفيعا عظيما.

والثاني: أنه حال، وتلخيصه: يخافون ربهم معظمين له عالمين بعظيم
سلطانه.

{ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ أُتِنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَؤَاهِبُونَ * وَلَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصَبًا أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَتَّقُونَ }
قوله تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ أُتِنِينَ } سبب نزولها: أن رجلا من
المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين:
أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعورين
اثنين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: ذكر الاثنين توكيد، كما قال
تعالى: { إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ }.

قوله تعالى: { وَلَهُ الدِّينُ وَأَصَبًا } في المراد بالدين أربعة أقوال.
أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة قاله سعيد بن جبير.
والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة.
والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة.

وفي معنى «واصبا» أربعة أقوال.
أحدها: دائما، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة،
ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والثوري، واللغويون. قال أبو الأسود
الدؤلي:

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه يوما بدم الدهر أجمع واصبا
قال ابن قتيبة: معنى الكلام: أنه ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك
عنه بزوال أو هلكه، غير الله عز وجل، فإن الطاعة تدوم له.
والثاني: واجبا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: خالصا، قاله الربيع بن أنس.
والرابع: وله الدين موصبا، أي: متعبا لأن الحق نقي، وهو كما تقول العرب:
هم ناصب، أي: منصب، قال النابغة:
كليني لهم يا أميمة ناصب ليل أقاسيه بطيء الكواكب

ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: له الدين، والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه، أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب، شدة التعب.

{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ قَالِيهِ تَجَارُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ } قال الزجاج: المعنى: ما حل بكم من نعمة، من صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال وولد { فَمِنَ اللَّهِ } وقرأ ابن أبي عبلة: «فمن الله» بتشديد النون.

قوله تعالى: { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ } قال ابن عباس: يريد الأسقام، والأمراض، والحاجة.

قوله تعالى: { وَمَا بِكُمْ } قال الزجاج: تجارون ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جأر يجأر جؤاراً، والأصوات مبنية على «فعال» و «فعليل» فأما «فعال» فنحو «الصراخ» و «الخوار» وأما «الفعليل» فنحو «العويل» و «الزئير» والفعال أكثر.

قوله تعالى: { إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ } قال ابن عباس: يريد أهل النفاق. قال ابن السائب: يعني الكفار.

قوله تعالى: { لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ } قال الزجاج: المعنى ليكفروا بأنا أنعمنا عليهم، فجعلوا نعمنا سبباً إلي الكفر، وهو كقوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ } إلى قوله: { لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ } [يونس 88] ويجوز أن يكون «ليكفروا» أي: ليجحدوا نعمة الله في ذلك.

قوله تعالى: { فَتَمْتَعُوا } تهدد، { فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } عاقبة أمركم. { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لِنُسَائِلِنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ لِبَنَاتٍ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُؤْيِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } قوله تعالى: { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ } يعني: الأوثان.

وفي الذين لا يعلمون قولان. أحدهما: أنهم الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضرا ولا نفعاً، فمفعول العلم محذوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقتادة.

والثاني: أنها الأصنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وإنما قال: يعلمون، لأنهم لما حولها الفهم، أجراها مجرى، من يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني. قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك مما شرحناه في [الأنعام 139].

قوله تعالى: { تَأَلَّه لَّتَسْتَلَّنَّ } رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ لِبَنَاتٍ } قال المفسرون: يعني: خزاعة وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله { سُبْحَانَهُ } أي: تنزه عما زعموا. { وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } يعني: البنين. قال أبو سليمان: المعنى: ويتمنون لأنفسهم الذكور. قوله تعالى: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ } أي: أخبر أنه قد ولد له بنت { ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا } قال الزجاج: أي: متغير تغير مغم، يقال لكل من لقي مكروها: قد اسود وجهه غما وحزنا.

قوله تعالى: { وَهُوَ كَظِيمٌ } أي: يكظم شدة وجده، فلا يظهره، وقد شرحناه في سورة { يُوسُفَ }.

قوله تعالى: { يَتَوَارَىٰ مِنْ لِقَاؤِ مَنْ لِقَاؤُهُمْ } قال المفسرون: وهذا صنيع مشركي العرب، كان أحدهم إذا ضرب امرأته المخاض، توارى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكراً، سر به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياً ما يدبر كيف يصنع في أمرها، وهو قوله تعالى: { أَيْمِسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ } فالهاء ترجع إلى ما في قوله: { مَا بُشِّرَ بِهِ } والهون في كلام العرب:

الهوان. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة، والجحدري: «على هوان» والدس: إخفاء الشيء، في الشيء، وكانوا يدفنون البنت وهي حية { أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلهن منهم هذا، ونسبوه إلى الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين.

{ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ لِمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ يُعَزِّزُ الْحَكِيمُ }

قوله تعالى: { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ } أي: صفة السيء من احتياجهم إلى الولد، وكرهتهم للآفات، خوف الفقر والعار، { وَلِلَّهِ لِمَثَلُ الْأَعْلَىٰ } أي: الصفة العليا من تنزيهه وبراءته عن الولد.

{ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }

قوله تعالى: { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ } أي: بشركهم ومعاصيهم، كلما وجد شيء منهم أوخذوا به { مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا } يعني: الأرض، وهذه كناية عن غير مذكور، غير أنه مفهوم، لأن الدواب إنما هي على الأرض. وفي قوله: { مِنْ دَابَّةٍ } ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه عنى جميع ما يدب على وجه الأرض، قاله ابن مسعود. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام، وقال السدي: المعنى: لأقحط المطر فلم تبقى دابة إلا هلكت، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج.

والثالث: من الإنس والجن، قاله ابن السائب، وهو اختيار الزجاج. قوله تعالى: { وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } وهو منتهى أجلهم، وباقي الآية قد تقدم [الأعراف: 34]

{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ لِحُسْنَىٰ لَّا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ لِنَارًا وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ }.

قوله تعالى: { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ } والمعنى: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البنات، { وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ } أي: تقول الكذب، وقرأ أبو العالية، والنخعي، وابن أبي عبيدة: «الكذب» بضم الكاف والذال، ثم فسر ذلك الكذب بقوله: { أَنَّ لَهُمُ لِحُسْنَىٰ } وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله تعالى، قاله الزجاج. والثالث: [أنها] الجنة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة، قال المشركون: إن كان ما تقولونه حقا، لندخلها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { لَّا جَرَمَ } قد شرحناها فيما مضى [هود: 22] وقال الزجاج: «لا» رد لقولهم، والمعنى: ليس ذلك كما وصفوا «جرم» أن لهم النار، المعنى: جرم فعلهم، أي: كسب فعلهم هذا { أَنَّ لَهُمُ لِنَارًا وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ } وفيه أربعة أوجه، قرأ الأكثرون: «مفراطون» بسكون الفاء وتخفيف الراء وفتحها، وفي معناها قولان.

أحدهما: متركون، قاله ابن عباس. وقال الفراء: منسيون في النار. والثاني: معجلون، قاله ابن عباس. أيضا. وقال ابن قتيبة: معجلون إلى النار. قال الزجاج: معنى «الفرط» في اللغة: المتقدم، فمعنى «مفراطون»: «مقدمون إلى النار، ومن فسرهما «متركون» فهو كذلك [أيضا]، أي: قد جعلوا مقدمين إلى العذاب أبدا، متروكين فيه. وقرأ نافع، ومحبوب. عن أبي عمرو، وقتيبة عن الكسائي «مفراطون» بسكون الفاء وكسر الراء وتخفيفها، قال

الزجاج: ومعناها: أنهم أفرطوا في معصية الله. وقرأ أبو جعفر وابن أبي عبله «مفرطون» بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرهما، قال الزجاج. ومعناها: أنهم فرطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للأخرة، وتصديق هذه القراءة {نَفْسٌ يُحَسِّرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} [الزمر: 56] وروى الوليد بن مسلم عن ابن عامر «مفرطون» بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج:

وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالمفرط والمفرط بمعنى واحد. {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ لَيُؤَمِّرَهُمُ عَلَىٰ عَدَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِكِتَابٍ إِلَّا لِيُنَبِّئَنَّهُمْ لِيَوْمِ حُتْلُفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

قوله تعالى: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ} قال المفسرون: هذه تعزية للنبي {فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} الخبيثة حتى عصوا وكذبوا، {فَهُوَ وَلِيُّهُمْ لَيُؤَمِّرَهُمُ} فيه قولان.

أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن السائب، ومقاتل، كأنهما أرادا: فهو وليهم يوم تكون لهم النار.

والثاني: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مواليهم في الدنيا {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: {إِلَّا لِيُنَبِّئَنَّهُمْ} يعني: الكفار {لِيَوْمِ حُتْلُفُوا فِيهِ} أي: ما خالفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء، فالمعنى: أنزلناه بيانا لما

وقع فيه الاختلاف. {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} * {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}

قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} يعني: المطر {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعد يبسها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} أي: يعتبرون. قوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم} قرأ أبو عمرو، وابن كثير،

وحمزة، والكسائي: «نُسْقِيكُم» بضم النون، ومثله في {لِمُؤْمِنِينَ} وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «تَسْقِيكُم» بفتح النون فيهما، وقرأ أبو

جعفر: «تَسْقِيكُم» بتاء مفتوحة، وكذلك في {لِمُؤْمِنِينَ} وقد سبق بيان الأنعام. وذكرنا معنى «العبرة» في {عَالِ عِمْرَانَ} والفرق بين «سقى»

و«سقى» في {لِحَجَرَ}

فأما قوله: {مِّمَّا فِي بُطُونِهِ} فقال الفراء: النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى «النعم» إذ كان يؤدي عن الأنعام، أنشدني

بعضهم. وطاب ألبان اللقاح وبرد فرجع إلى اللبن، لأن اللبن والألبان في معنى، قال: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في البطون ما ذكرنا وهو صواب أنشدني بعضهم مثل الفراخ تتفت حواصله

وقال المبرد: هذا فاش في القرآن، كقوله للشمس: { هَذَا رَبِّي } [الأنعام: 78] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ } ثم قال: { فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ } [النمل: 35، 36] ولم يقل: «جاءت» لأن المعنى: جاء الشيء الذي ذكرنا، وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبعض، والمعنى: نسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن، لأنه ليس لكل الأنعام لبن، وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: { مِمَّا فِي بُطُونِهِ } إلى النعم، والنعم تذكر وتؤنث، والفرت: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاما، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه فرت في الكرش، وخلص من ذلك الدم { لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } أي: سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه، ولا يغص. وقال بعضهم: سائغا، أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرت ودم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا استقر العلف في الكرش، طحنه، فصار أسفله فرثا، وأعلىه دما، وأوسطه لبنا، والكبد مسلطه على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرت في الكرش.

قوله تعالى: { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ } تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرا. والعرب تضرم { مَا } كقوله: { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا } [الإنسان: 20] أي: ما ثم. والكناية في «منه» عائدة علي «ما» المضمرة. وقال الأخفش: إنما لم يقل: منهما، لأنه أضرم الشيء، كأنه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكرا. وفي المراد بالسكرا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وإبراهيم، ابن أبي ليلى، والزجاج، وابن قتيبة، وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال: السكرا: ما حرم من ثمرتها، وقال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة، ثم نسخ ذلك بقوله: { فَاجْتَنِبُوهُ } [المائدة: 90] وممن ذكر أنها منسوخة، سعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، والنخعي.

والثاني: أن السكر: الخل، بلغة الحبشة، رواه العوفي عن ابن عباس، وقال الضحاك: هو الخل، بلغة اليمن.
والثالث: أن «السكر» الطعم، يقال: هذا له سكر، أي: طعم، وأنشدوا: جعلت عيب الأكرمين سكرًا قاله أبو عبيدة: فعلى هذين القولين، الآية محكمة. فأما الرزق الحسن، فهو ما أحل منهما، كالتمر، والعنب، والزبيب، والخل، ونحو ذلك.

{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ لِيْخِذِيْ مِنْ أَلْجِبَالِ بَيْوَاتًا وَمِنْ أَلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كَلَىٰ مِنْ كُلِّ أَلْتَمْرٍ وَ سَلَكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }
قوله تعالى: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ } في هذا الوحي قولان: أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، ومقاتل.

والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها. والنحل: زنابير العسل، واحدها نحلة. «ويعرشون» يجعلونه عريشا. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يعرشون» بضم الراء، وهما لغتان، يقال: «يعرش» و«يعرش» مثل { يعكف } { ويعكف } ثم فيه قولان. أحدهما: ما يعرشون من الكروم، قاله ابن زيد.
والثاني: أنها سقوف البيوت، قاله الفراء. وقال ابن قتيبة: كل شيء عرش، من كرم، أو نبات، أو سقف، فهو عرش، ومعروش. وقيل: المراد ب { مِمَّا } * يَعْرِشُونَ } : مما يبنون لهم من الأماكن التي تلقي فيها تلقيها العسل، ولولا التسخير، ما كانت تأوي إليها.

قوله تعالى: { ثُمَّ عَلَيَّ * مِنْ كُلِّ أَلْتَمْرٍ } قال ابن قتيبة: أي من الثمرات، و«كل» هاهنا ليست علي العموم، ومثله قوله: { تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ } [الأحقاف: 25] قال الزجاج: فهي تأكل الحامض، والمر، ومالا يوصف طعمه، فيحيل الله عز وجل من ذلك عسلا.

قوله تعالى: { فَ سَلَكِي سُبُلَ رَبِّكِ } السبل: الطرق، وهي التي يطلب فيها الرعي. «والذل» جمع ذلول. وفي الموصوف بها قولان. أحدهما: أنها السبل، فالمعنى: اسلكي اسبل مذلة لك، فلا يتوعر عليها مكان سلكته، وهذا قول مجاهد، واختيار الزجاج.
والثاني: انها النحل، فالمعنى: إنك مذلة بالتسخير لبين آدم، وهذا وقول قتادة، واختيار ابن قتيبة.

قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ} يعني: العسل {مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} قال ابن عباس: منه أحمر، وأبيض، وأصفر. قال الزجاج: {يَخْرُجُ} من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها، وإنما قال. من بطونها، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلا في البطن، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم. قوله تعالى: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} في هاء الكتابة ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى العسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود. واختلفوا، هل الشفاء الذي فيه يختص بمرض دون غيره، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه عام في كل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدوية. وقد روى أبو سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله. فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، قال «اسقه عسلاً» فذكر الحديث إلى أين قال: فشفي، إما في الثالثة، وإما في الرابعة. فقال رسول الله {صَدَقَ اللَّهُ * وَكَذَّبَ * بَطَنَ} أخرجه البخاري، ومسلم. ويعني: بقوله «صدق الله»: هذه الآية. والثاني: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي. والصحيح أن ذلك خرج مخرج الغالب. قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدوية، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق أحاد المرضى: فقد وافق الأكثرين، وهذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب.

والثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد. {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ لُعْمَرٍ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} قوله تعالى: {يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ} أي: أوجدكم ولم تكونوا شيئاً {ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ} عند انقضاء آجالكم، {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ لُعْمَرٍ} وهو أردؤه، وأدونه، وهي حالة الهرم. وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال.

أحدها: خمس وسبعون سنة، قاله علي عليه السلام.

والثاني: تسعون سنة، قاله قتادة.

والثالث: ثمانون سنة، قاله قطرب.

قوله تعالى: {لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} قال الفراء: لكي لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقال ابن قتيبة: أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً،

فيصير بعد أن كان عالما جاهلا، ليريكم من قدرته، كما قدر على إمامته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلا، ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يرد إلى أرذل العمر.

{ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي لِرْزُقٍ فَمَا لِلَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَأْدَى رِرْزُقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }
قوله تعالى: { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي لِرْزُقٍ } يعني: فضل السادة على المماليك { فَمَا لِلَّذِينَ فَضَّلُوا } يعني: السادة { بِرَأْدَى رِرْزُقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } فعبرت «ما» عن «من» لأنه موضع إبهام، تقول: ما في الدار؟ فيقول المخاطب: رجلان أو ثلاثة، ومعنى الآية: أن المولى لا يرد على ما ملكت يمينه من ماله حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء، وهو مثل ضربه الله تعالى للمشركين الذين جعلوا الأصنام شركاء له، والأصنام ملكا له، يقول: إذا لم يكن عبيدكم معكم في الملك سواء، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء، وترضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه؟ وروى العوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في نصارى نجران حين قالوا: عيسى ابن الله تعالى.

قوله تعالى: { أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } قرأ أبو بكر عن عاصم: «تجحدون» بالتاء وفي هذه النعمة قولان.

أحدهما: حجته وهدايته. والثاني: فضله ورزقه.
{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفَدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِّنْ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِلَبَطِيلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } يعني النساء. وفي معنى { مِّنْ أَنْفُسِكُمْ } قولان:

أحدهما: أنه خلق آدم، ثم خلق زوجته، منه قاله قتادة.
والثاني: «من أنفسكم»، أي: من جنسكم من بني آدم، قاله ابن زيد. وفي الحفدة خمسة أقوال.

أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، ومجاهد في رواية، وسعيد بن جبير، والنخعي، وأنشدوا من ذلك: ولو أن نفسي طاوعتني لأصحت لها حقد مما يعد كثير

ولكنها نفس علي أبيه عيوف لأصهار اللئام قذور

والثاني: أنهم الخدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية الحسن، وطاووس وعكرمة. في رواية الضحاك، وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يراد بالخدم: الأولاد. فيكون المعنى: أن الأولاد يخدمون. قال ابن قتيبة: الحفدة: الخدم والأعوان، فالمعنى: هم بنون، وهم خدم. وأصل الحفدة: مداركة الخطو والإسراع في المشي، وإنما يفعل الخدم هذا، ف قيل لهم: حفدة ومنه يقال في دعاء الوتر: «وإليك نسعى ونحفد» والثاني: أن يراد بالخدم، المماليك فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأنباري.

والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والرابع: أنهم ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس.

والخامس: أنهم كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم. قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يحتاج إليه بسرعة وطاعة.

قوله تعالى: { وَرَزَقَكُمْ مِّنَ اللَّطِيبَاتِ } قاله ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان.

قوله تعالى: { أَقْبَلُ لِبَطْلِ يُؤْمِنُونَ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الأصنام، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الشريك والصاحبة والولد، فالمعنى: يصدقون أن لله ذلك؟ قاله عطاء.

والثالث: أنه الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، فصدقوا. وفي المراد ب «نعمة الله» ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن والرسول.

والثالث: الحلال الذي أحله الله لهم.

قوله تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا } وفي المشار إليه قولان.

أحدهما: أنها الأصنام، قاله قتادة. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل.
قوله تعالى: { مِنْ * السَّمَوَاتِ } يعني: المطر، { و } من { وَفِي الْأَرْضِ } النبات، والثمر.

قوله تعالى: { شَيْئًا } قال الأخفش: جعل «شيئًا» بدلا من الرزق، والمعنى: لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا، { وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } أي: لا يقدرون على شيء.
قال الفراء: وإنما قال في أول الكلام: «يملك» وفي آخره: «يستطيعون»، لأن «ما» في مذهب: جمع لألتهم، فوجد «يملك» على لفظ «ما» وتوحيدها، وجمع في «يستطيعون» على المعنى، كقوله: { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } [يونس: 42]

قوله تعالى: { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } أي: لا تشبهوه بخلقه، لأنه لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء، فالمعنى: لا تجعلوا له شريكا.
وفي قوله: { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } أربعة أقوال.
أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب.
والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل.

والثالث: يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه.

والرابع: يعلم ما كان ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركتم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ لِحَمْدِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }
قوله تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا } أي: بين شيئا فيه بيان المقصود، وفيه قولان.
أحدهما: أنه مثل للمؤمن والكافر. فالذي { لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ } هو الكافر، لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق هو المؤمن، ابن لما عنده من الخير، هذا قول عباس، وقتادة.

والثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان، لأنه مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئا، هذا قول مجاهد، والسدي. وذكر في التفسير أن هذا المثل ضرب يقوم كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم قولان.

أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام ابن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحواجر.

والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قاله ابن جريج. فأما قوله: { هَلْ يَسْتَوُونَ } ولم يقل: يستويان، لأن المراد: الجنس. وقال ابن الأنباري: لفظ «من» لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المثل بعيد معين، ومالك معين، لكن عني بهما جماعة عبيد، وقوم مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك. وقوله تعالى: { الحمد لله } أي: هو المستحق للحمد، لأنه المنعم، ولا نعمة للأصنام، { مَنَّهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ } يعني المشركين { لَا يَعْلَمُونَ } أن الحمد لله. قال العلماء: وصف أكثرهم بذلك، والمراد: جميعهم.

قوله تعالى: { وَصَرَ بَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ } قد فسرنا «البكم» في [البقرة: 18]. ومعني «لا يقدر على شيء» أي: من الكلام، لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه. { وَهُوَ كَلَّ عَلَى مَوْلَاهُ } قال ابن قتيبة: أي: ثقل على وليه وقرابته. وفيمن أريد بهذا المثل أربعة أقوال.

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالكافر. هو الأبكم، والذي يأمر بالعدل [هو] المؤمن، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن النفقة في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن منية عن ابن عباس.

والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبي بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى «مولاه» قولان.

أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس.

والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو ثقل على وليه الذي يخدمه ويزينه. ويخرج في معنى «أينما توجه» قولان. إن قلنا: إنه رجل، في فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق.

وإن قلنا: إنه الصنم، ففي معنى الكلام قولان.

أحدهما: أينما يدعو، لا يجيبه، قاله مقاتل.

والثاني: أينما توجه تأمله إياه ورجاه له، لا يأتاه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم، كقوله: { مَا وَعَدْنَاهُ عَلَى رُسُلِكَ } [آل عمران: 194] أي: على السنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما توجهه» بالتاء على الخطاب.

فأما قوله: { لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ } فان قلنا: هو رجل، فانما كان كذلك لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، إما لكفره وجحوده، أو لبكم به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جمادا. { هَلْ يَسْتَوِي هُوَ } أي: هذا الأبكم { وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } أي: ومن هو قادر على التكلم بناطق الحق.

{ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قوله تعالى: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } قد ذكرناه في آخر [هود: 123] وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. وقال ابن السائب: المراد بالغيب ها هنا: قيام الساعة.

قوله تعالى: { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ } يعني: القيامة { إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ } واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: { كُنْ فَيَكُونُ } [البقرة: 117]. { أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الأتيان بها متى شاء. { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }

قوله تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } قرأ حمزة: «إمهاتكم» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الإلف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم، وكذلك في { النُّورِ } و { الزمر: 6 } و { الطارقِ } { النَّجْمِ }، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة.

قوله تعالى: { وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ } لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بينا علة ذلك في أول [البقرة: 7]. والأفئدة: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فئدان» مثل غراب وغربان. وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدم وتؤخر، وأنشد:

ضحم تعلق أشناق الديات به إذا المؤمن أمرت فوقه حملا

[الشنق: ما بين الفريضتين] والمؤمن أعظم من الشنق، فبدأ بالأقل قبل الأعظم.

قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهالا بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم.

{ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }

قوله تعالى: { مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ } قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض.

قوله تعالى: { مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ } فيه قولان.

أحدهما: ما يمسكهن عند قبض أجنتهن وبسطها أن يقعن على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون.

والثاني: ما يمسكهن أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فعل بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقْمَاتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ لِّجِبَالٍ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ لِحَرِّ وَسَبِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ لِبَاسٌ لِّمُبِينٍ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ لَكَفِرُونَ }

قوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا } أي: موضعا تسكنون فيه، وهي المساكن المتخذة من الحجر والمدر تستر العورات والحرم، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، { وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا } وهي القباب والخيم المتخذة من الأدم { تَسْتَخِفُّونَهَا } أي: يخف عليكم حملها { يَوْمَ ظَعْنِكُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «ظعنكم» بفتح العين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتسكين العين، وهما لغتان، كالشعر، والنهر والنهر، والمعنى: إذا سافرتهم، { وَيَوْمَ إِقْمَاتِكُمْ } أي: لا تثقل عليكم في الحالين. { وَمِنْ أَصْوَابِهَا } يعني: الضان { وَأَوْبَارِهَا } يعني: الإبل { وَأَشْعَارِهَا } يعني: المعز { أَثَثًا } قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعته، ولو جمعت الأثاث، لقلت: ثلاثة أثثة، وأثث: مثل أغثه وغثث لاغير. وقال ابن قتيبة: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثثة. وقال الزجاج: يقال: قد أث يأث أثا: إذا صار ذا أثاث. وروي عن الخليل أنه قال: أصله الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شعر أثيث.

فأما قوله: { وَمَتَاعًا } فقيل: إنما جمع بينه وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: { إِلَىٰ حِينٍ } قولان.

أحدهما: أنه الموت، والمعنى: ينتفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: انه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يبلى ذلك الشيء، قاله مقاتل. قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا} أي: ما يقيكم حر الشمس، وفيه خمسة أقوال.

أحدها: أنه ظلال الغمام، قاله ابن عباس.

والثاني: ظلال البيوت، [قاله ابن السائب].

والثالث: ظلال الشجر، قاله قتادة، والزجاج.

والرابع: ظلال الشجر والجبال [وقاله ابن قتيبة].

والخامس: انه كل شيء له ظل من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ لِّجِبَالٍ أَكْثَنًا} أي: ما يكنكم من الحر والبرد، وهي الغيران والأسراب. وواحد الأكنان «كن» وكل شيء وقى شيئا وسترة فهو «كن» {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ} وهي القمص {تَقِيكُمْ لِحَرِّ} ولم يقل: البرد، لأن ما وقى من الحر، وقى من البرد، وأنشد:

وما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يليني

وقال الزجاج: إنما خص الحر، لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناة له من البرد، وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: {وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ} يريد الدروع التي يتقون بها شدة الطعن والضرب في الحرب.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} أي: مثلما أنعم الله عليكم بهذه الأشياء، يتم نعمته عليكم في الدنيا {لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} والخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذ كفارا، ولو قيل: إنه خطاب للمسلمين، فالمعنى: لعلكم تدومون على الإسلام، وتقومون بحقه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو رجاء: «لعلكم تسلمون» بفتح التاء واللام، على معنى: لعلكم إذا لبستم الدروع تسلمون من الجراح في الحرب.

قوله تعالى: {قَإِنْ تَوَلَّوْا} أعرضوا عن الإيمان {قَإِنَّمَا عَلَيْكَ لُبَإٌ لِّمُيِّنٍ} وهذه عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا} وفي هذه النعمة قولان. أحدهما: أنها [المساكن] نعم الله عز وجل عليهم في الدنيا. وفي إنكارها ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم يقولون: هذه ورثناها [عن آبائنا]. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نعم الله: المساكن، والأنعام، وسراويل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لأبائنا ورثناه عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان لكان كذا، فهذا إنكارهم، قال عون بن عبد الله. والثالث: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاة آلهتنا، قاله ابن السائب، والفراء وابن قتيبة.

والثاني: أن المراد بالنعمة هاهنا: محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون أنه نبي ثم يكذبونه، وهذا مروى عن مجاهد، والسدي، والزجاج.

قوله تعالى: {وَأَكْثَرُهُمْ لِكْفِرُونَ} قال الحسن: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع.

{ وَيَوْمَ تَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا لِعَذَابٍ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا تَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمْ لِقَوْلِ إِيَّاكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَلْسَلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

قوله تعالى: {يَوْمَ * تَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} يعني: يوم القيامة، وشاهد كل أمة نبيها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، {ثُمَّ لَا يُؤَدُّنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} في الاعتذار {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي: أشركوا {لِعَذَابٍ} يعني: النار {فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ} العذاب {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} لا يؤخرون، ولا يمهلون. {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ} يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: {رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا تَدْعُوا} أي: نعبد من دونك.

فان قيل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: «هؤلاء شركاؤنا»؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنهم لما كتموا الشرك في قولهم: والله ما كنا مشركين، عاقبهم الله تعالى باصمات ألسنتهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معابنه آلهتهم: {رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا} أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدقنا بعد الكذب، التماسا للرحمة، وفرارا من الغضب، وكان هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم.

والثاني: أنهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقدير أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذ كانوا يدعون لها العقل والتمييز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم. قوله تعالى: {فَالْقَوَا إِلَيْهِمْ لَقَوْلَ} أي: أجابوهم وقالوا لهم {إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ} قال الفراء:

ردت عليهم ألتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: «فألقوا» أي: قالوا لهم. يقال: ألقيت إلى فلان كذا. أي: قلت له. قال العلماء: كذبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جمادا لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذ إذ عبدوا من لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: {سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} [مريم: 83].

قوله تعالى: {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَلْسَلَمَ} المعنى: أنهم استسلموا له وفي المشار إليهم قولان. أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم. قولان أحدهما: أنهم استسلموا له بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه.

والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلهم. قال الكلبي: والمعنى: أنهم استسلموا لله منقادين لحكمه.

قوله تعالى: {وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} فيه قولان. أحدهما: بطل قولهم أنها تشفع لهم. والثاني: ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان أن لله شريكا وولدا.

{لَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الَّذِي كَانُوا يُفْسِدُونَ}

قوله تعالى: {لَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ} قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد.

قوله تعالى: {زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الَّذِي كَانُوا يُفْسِدُونَ} إنما نكر العذاب [الأول] لأنه نوع خاص لقوم بأعيانهم، وعرف العذاب الثاني، لأنه العذاب الذي يعذب به أكثر أهل النار، فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم، بصددهم عن سبيل الله. وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال.

أحدها: أنها عقارب كأمثال النحل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثاني: أنها حيات كأمثال الفيلة، وعقارب كأمثال البغال، رواه زر عن ابن مسعود.

والثالث: أنها خمسة أنهار من صفر مذاب تسيل من تحت العرش يعذبون بها.
ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار، قاله ابن عباس.
والرابع: أنه الزمهرير، ذكره ابن الأنباري.
قال الزجاج: يخرجون من حر النار إلى الزمهرير فيتبادرون من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: { وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ } وفي المشار إليهم قولان.
أحدهما: أنهم قومه، قال ابن عباس.

والثاني: أمته، قاله مقاتل. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: { وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ لِكِتَابٍ
تِبْيَاتًا } قال الزجاج: التبيان: اسم في معنى البيان.

فأما قوله تعالى: { لِكُلِّ شَيْءٍ } فقال العلماء بالمعاني: لكل شيء من أمور
الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو إجماع المسلمين.

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلِيَعْلَمَ لِعَظْمِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا
تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَلَيْتِي نَقِصَتْ عَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ
دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِيُسْأَلَنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه شهادة أن لا إله إلا الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
والثاني: أنه الحق رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أن استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى، قاله سفيان بن
عيينة.

والرابع: أنه القضاء بالحق، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان: العدل في كلام
العرب: الإنصاف، وأعظم الإنصاف: الاعتراف بالمنعم بنعمته.
وفي المراد بالإحسان خمسة أقوال.

أحدها: أنه أداء الفرائض، رواه أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: العفو، رواه
الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الإخلاص، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أن
تكون السريرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة.

فأما قوله تعالى: {وَإِنِّيَأْ ذِي} فالمراد به: صلة الأرحام. وفي الفحشاء قولان.

أحدهما: أنها الزنا، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل. وفي المنكر أربعة أقوال.

أحدها: أنه الشرك، قال مقاتل.

والثاني: أنه ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

والثالث: أنه ما وعد الله عليه النار، ذكرهما ابن السائب.

والرابع: أن تكون علانية، الإنسان أحسن من سريره قاله سفيان بن عيينة.

فأما {أَصَابَهُمْ لِبَعُيٌّ} فقال ابن عباس:

هو الظلم، وقد سبق شرحه في مواضع [البقرة: 173 والأعراف: 33 ويونس: 90 / 23]

قوله تعالى: {يَعِظُكُمْ} قال ابن عباس: يؤدبكم، وقد ذكرنا معنى الوعظ في

{سُورَةُ النَّسَاءِ} و {تَذَكَّرُونَ} بمعنى: تتعظون. قال ابن مسعود: هذه الآية

أجمع آية في القرآن لخير أو لشر. وقال الحسن: والله ما ترك العدل

والإحسان شيئا من طاعة [الله] إلا جمعا، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغى شيئا من معصية الله إلا جمعوها.

قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ} اختلفوا فيمن نزلت على قولين.

أحدهما: أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال

المفسرون: العهد الذي يجب الوفاء به، هو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد العبد

عليه، وجب الوفاء به، والوعد من العهد. {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}

أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين، بخلاف لغو اليمين،

ووكدت الشيء توكيدا، لغة أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فيقولون: أكدته تأكيدا.

وقال الزجاج: يقال: وكدت الأمر، وأكدت، لغتان جيدتان، والأصل الواو،

والهمزة بدل منها.

قوله تعالى: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} أي: بالوفاء، وذلك أن من حلف

بالله، فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه.

وللمفسرين في معنى «كفيلا» ثلاثة أقوال.

أحدها: شهيدا، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: وكيفا، قاله مجاهد.

والثالث: حفيظا. مراعيًا لعقدكم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { وَلَا تَكُونُوا كَلَّتِي نَقَصَتْ غَزْلَهَا } قال مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفسه، ثم تخلطه بالصوف فتعزله، وقال مقاتل: هي امرأة من قريش تسمى «ريطة» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت، نقضته. وقال ابن السائب: اسمها «رائطة» وقال ابن الأنباري: اسمها «ريطة» بنت عمرو المري، ولقبها الجعراء، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بوصفها، ولم يكن لها نظير في فعلها ذلك، كانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتحكمه، ثم تأمر جارياتها بتقطيعه. وقال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريتها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، فضربها الله مثلا لناقضي العهد «ونقضت» بمعنى: تنقض، كقوله: { وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ } [الأعراف: 43] بمعنى: وينادي.

وفي المراد بالغزل قولان. أحدهما: أنه الغزل المعروف، سواء كان من قطن أو صوف أو شعر، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنه الحيل، قاله مجاهد. وقوله: { مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ } قال قتادة: من بعد إبرام، وقوله: { أَنْكَا } أي: أنقاضا. قال ابن قتيبة: الأنكاث: ما نقض من غزل الشعر وغيره. وواحدة: نكت. يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود، ثم تنقضوا ذلك وتحثوا فيه، فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت، ثم نقضت ذلك النسج، فجعلته أنكاثا.

قوله تعالى: { تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ } أي: دغلا، ومكرا، وخديعة، وكل شيء دخله عيب، فهو مدخول، وفيه دخل.

قوله تعالى: { أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ } قال ابن قتيبة: لأن تكون أمة، { هِيَ أَرْبَى } أي: هي أغنى { مِنْ أُمَّةٍ } وقال [الزجاج]: المعنى: بأن تكون أمة هي أكثر، يقال: ربا الشيء يربو: إذا كثر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: «أربى» أزيد عددا. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنهوا عن ذلك. وقال الفراء: المعنى: لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم، أو قلتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالأيمان.

قوله تعالى: { إِنْ مَّا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ } في هذه الآية ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى الكثرة، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب، ومقاتل، فيكون المعنى: إنما يختبركم الله بالكثرة، فإذا كان بين قومين عهد، فكثرت أحدهما، فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقل. فإن قيل: إذا كنى عن الكثرة، فهلا قيل بها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، بأن الكثرة ليس تأنيثها حقيقيا، فحملت على معنى التذكير، كما حملت الصيحة على معنى الصباح.

والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فإنه لدلالة الأيمان عليه، يجرى مجرى المظهر، ذكره ابن الأنباري.

والثالث: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، ذكره بعض المفسرين.
قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } قد فسرناه في آخر [هود 118].

قوله تعالى: { وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ } صريح في تكذيب القدرية، حيث أضاف الإضلال والهداية إليه، وعلقهما بمشيئته.

{ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُسًا بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا } هذا استئناف للنهي عن أيمان الخديعة. { فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا } قال أبو عبيدة: هذا مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلت به قدمه. قال مقاتل: ناقض العهد يزل في دينه كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة. قال المفسرون: وهذا نهى للذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد، ويدل عليه قوله يتعالى: { وَتَذُوقُوا أَلْسُسًا } يعني: العقوبة { بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } يريد أنهم إذا نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، صدوا الناس عن الإسلام، فاستحقوا العذاب.

وقوله تعالى: { وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } يعني: في الآخرة. ثم أكد ذلك بقوله: { وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض، يقال لأحدهما «عيدان بن أشوع» وهو صاحب الأرض، وللآخر: «امرؤ القيس» وهو المدعى عليه، فهم امرؤ القيس أن يحلف، فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية. وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض «ربيعة بن عيدان» وقيل: «عيدان» بفتح العين وياء معجمه باثنتين. ومعنى الآية: لاتنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عرضا يسيرا من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل.

{ مَا عِنْدَكُمْ } أي: يفنى { وَمَا } في الآخرة { أَلَّهُ بَاقٍ } وقف بالياء ابن كثير في رواية عنه. ولا خلاف في حذفها في الوصل. { وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا } قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ولنجزيين» بالياء. وقرأ ابن كثير، وعاصم: «ولنجزيين» بالنون.

ولم يختلفوا في { وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ } أنها بالنون، ومعنى هذه الآية: وليجزين الذين صبروا على أمره بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيئاتهم.

{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ } في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن امرأ القيس المتقدم ذكره أقر بالحق الذي هم أن يحلف عليه، فنزلت فيه: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا }، وهو إقراره بالحق، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن ناسا من أهل التوراة، وأهل الأنجيل، وأهل الأوثان، جلسوا، فتفاضلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح. قوله تعالى: { فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوَةً طَيِّبَةً } اختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس. ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال.

أحدها: أنها القناعة، قال علي عليه السلام، وابن عباس في رواية والحسن في رواية، ووهب بن منبه.

والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالا ويلبس حلالا.

والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة.

والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة.

والسادس: أنها الرزق الطيب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق.

والثامن: العافية والكفاية.

والتاسع: الرضى بالقضاء ذكرهما الماوردي.

والثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وابن زيد، وذلك إنما يكون الجنة.

والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك.

{ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَيَّ لِيُذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَيَّ لِيُذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ لِيُذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ تَزَّلَهُ رُوحٌ لِقُدْسٍ مِنْ رَبِّكَ بِلِحَقِّ
لَيْبَتٍ لِيُذِينَ ءَأَمِنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ {
قوله تعالى: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: أن المعنى: فإذا أردت القراءة فاستعد، ومثله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمِنُوا إِذَا
قُمْتُمْ إِلَى } [المائدة: 6] وقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمِنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ }
[الأحزاب 53] وقوله: { إِذَا تَجَيَّئْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ }
[المجادلة: 12].

ومثله في الكلام: إذا أكلت فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللغويين.
والثاني: أنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة. روي عن أبي هريرة،
وداود.

والثالث: أنه من المقدم والمؤخر، فالمعنى: فإذا استعدت بالله فاقرا، قاله أبو
حاتم السجستاني، والأول أصح.

فصل

والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها.

وفي صفتها عن أحمد روايتان.

إحدها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها أبو
بكر المروزي.

والثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع

العليم، رواها حنبل. وقد بينا معنى «أعوذ» في أول الكتاب [ص 7]/

وشرحنا اشتقاق الشيطان في [البقرة: 14] والرجيم في [آل عمران: 36]
قوله تعالى: { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمِنُوا } في المراد بالسلطان
قولان.

أحدهما: أنه التسلط.

ثم فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله صرف سلطانهم عنهم بقوله: { إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } [الحجر 42]
والثاني:

ليس له عليهم سلطان، لاستعاذتهم منه.

والثالث: ليس له قدره على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

والثاني: أنه الحجة. فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من
المعاصي، قاله مجاهد.

فأما قوله: { يَتَوَلَّوْهُ } معناه: يطيعونه.

وفي هاء الكناية في قوله: { وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مجاهد، والضحاك. والثاني: أنها ترجع إلى الشيطان، فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، وهذا كما يقال: صار فلان بك عالما، أي: من أجلك، هذا قول ابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: المعنى: والذين هم باشراكهم إبليس في العبادة، مشركون بالله تعالى.

قوله تعالى: { وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ } سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزل الآية، فيعمل بها مدة، ثم ينسخها، فقال كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، ويأتيهم غدا بما هو أهون عليهم منه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمعنى: إذا نسختنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ } من يأسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك { قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ } أي: كاذب { بَلْ أَكْثَرُهُمْ } فيه قولان. أحدهما: لا يعلمون أن الله أنزله.

والثاني: لا يعلمون فائدة النسخ. قوله تعالى: { يَعْلمُونَ قُلُوبَهُمْ تَزَلُّهُ } يعني: القرآن { رُوحٌ لُقْدُسٍ } يعني: جبريل. وقد شرحنا هذا الاسم في { البقرة: 87 } قوله تعالى: { مِنْ رَبِّكَ } أي: من كلامه { بِالْحَقِّ } أي: بالأمر الصحيح { لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا } بما فيه من البينات فيزدادوا يقينا. { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي لَكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } قوله تعالى: { وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ } يعني: قريشا { إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ } أي: آدمي، وما هو من عند الله .

وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال. أحدها: أنه كان لبني المغيرة غلام يقال له «يعيش» يقرأ التوراة، فقالوا: منه يتعلم محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة في رواية: كان هذا الغلام لبني عامر بن لؤي، وكان روميا. والثاني: أنه فتى كان بمكة يسمى «بلعام» وكان نصرانيا أعجميا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعلمه، فلما رأى المشركون دخوله إليه وخروجه، قالوا ذلك، روي عن ابن عباس أيضا.

والثالث: أنه نزلت في كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيملى عليه «سميع عليم» فيكتب هو «عزيز حكيم» أو هذا، فقال رسول

اللله صلى الله عليه وسلم: «أي ذلك كتبت فهو كذلك»، فافتتن، وقال: إن محمدا يكل ذلك إلي فأكتب ما شئت، روي عن سعيد بن المسيب.
والرابع: أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: «جابر»، وكان جابر يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتعلم منه، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد من هذا، قاله سعيد بن جبيرة.
والخامس: أنهم عنوا سلمان الفارسي، قاله الضحاك؛ وفيه بعد من جهة أن سلمان أسلم بالمدينة، وهذه الآية مكية.
والسادس: أنهم عنوا به رجلا حدادا كان يقال «بحنس» النصراني، قاله ابن زيد.
والسابع: أنهم عنوا به غلاما لعامر بن الحضرمي، وكان يهوديا أعجميا، واسمه «يسار»، ويكنى «أبا فكيهة» قاله مقاتل. وقد روي عن سعيد بن جبيرة نحو هذا، إلا أنه لم يقل: إنه كان يهوديا.
والثامن: أنهم عنوا غلاما أعجميا اسمه «عايش» وكان مملوكا لحويطب، وكان قد أسلم، قاله الفراء، والزجاج.
والتاسع: أنهما رجلان، قال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، يقال لأحدهما: «يسار» و للآخر «جبر» وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن الإنجيل، فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف يستمع، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. قال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، يكون البشر واقعا على اثنين، والبشر من أسماء الأجناس، يعبر عن اثنين، كما يعبر «أجد» عن الاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث. قوله تعالى: { لِسَانٌ لِّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يلحدون» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: «يلحدون» بفتح الياء والحاء. فأما القراءة الأولى، فقال ابن قتيبة: «يلحدون» أي: يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل. وقال الفراء: «يلحدون» بضم الميم: يعترضون، ومنه قول: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَم } [الحج: 25] أي: باعتراض، «ويلحدون» بفتح الياء: يميلون. وقال الزجاج: يلحدون إليه، أي: يميلون القول فيه أنه أعجمي. قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلا بالبادية، والأعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً؛ والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا.

قوله تعالى: { وَهَذَا لِسَانٌ } يعني: القرآن { عَرَبِيٌّ } قال الزجاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية.
قوله تعالى: { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } أي: الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها، { وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا رد عليهم إذ قالوا: { إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ } [النحل: 101] وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب، لأنه خص به

من لا يؤمن بالله.
{ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَتَتْحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخٰسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَيْتُوا ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }
قوله تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ } قال مقاتل: نزلت في عبد الله

بن سعد بن أبي سرح القرشي، ومقيس بن صباه، وعبد الله بن أنس ابن خطل، وطعمه بن أبيرق، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه المخزومي.

فأما قوله تعالى: { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ } فاختلّفوا فيمن نزل على أربعة أقوال. أحدها: أنه نزل في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فعذبوه، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنه لما نزل قوله: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمْ لَمَلَكُهُ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } إلى آخر الآيتين اللتين في سورة النساء [97 96] كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأدركوهم، حتى أعطوا الفتنة، فنزل { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ }، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع إليها، فأكرهه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون، قاله ابن سيرين.

والرابع: أنه نزل في جبر، غلام ابن الحضرمي، كان يهوديا فأسلم، فضربه سيده حتى رجع إلى اليهودية، قاله مقاتل. وأما قوله: { وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا } فقال مقاتل: هم النفر المسمون في أول الآية.

فأما التفسير، فاختلف النحاة في قوله: { مَنْ كَفَرَ } وقوله: { وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ } فقال الكوفيون: جوابهما جمعيا في قوله: { فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ }، فقال البصريون: بل قوله: { مَنْ كَفَرَ } مرفوع بالرد على { لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون خبر { مَنْ كَفَرَ } محذوفا، لوضوح معناه، تقديره: من كفر بالله، فالله عليه غضبان/

قوله تعالى: { وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } أي: ساكن إليه راض به. { وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا } قال قتادة: من أتاه بإيثار واختيار. وقال ابن قتيبة: من فتح له صدره بالقبول. وقال أبو عبيدة: المعنى: من تابعته نفسه، وانبسط إلى ذلك، يقال: ما ينشرح صدري بذلك، أي: ما يطيب. وجاء قوله: { فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ } على معنى الجميع، لأن «من» تقع على الجميع.

فصل

الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان. أحدهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به.

والثانية: أن التخويف لا يكون إكراها حتى ينال بعذاب. وإذ ثبت جواز «التقية» فالأفضل ألا يفعل، نص عليه أحمد، في أسير خير بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر، فله الرخصة، فظاهر هذا، الجواز. وروى عنه الأثرم أنه سئل عن التقية في شرب الخمر فقال: إنما التقية في القول. فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكره على الزنا، لم يجز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد. فإن أكره على الطلاق، لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع. قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَتَتَحَبُّوا لِحَيَاةٍ دُنْيَا } في المشار إليه بذلك قولان. أحدهما: أنه الغضب والعذب، قاله مقاتل. الثاني: أنه شرح الصدر. للكفر «واستحبوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الآخرة.

قوله تعالى: { وَأَنَّ لِلَّهِ } أي: وبأن الله لا يريد هدايتهم. وما بعد هذا قد سبق شرحه [البقرة 7 والنساء 155 والمائدة 67] إلى قوله: { وَأَوْلَيْكَ هُمْ لِعَافِلُونَ } ففيه قولان.

أحدهما: العافلون عما يراد بهم، قاله ابن عباس. والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { لَا جَرَمَ } قد شرحناها في { هُودٍ }.
قوله تعالى:

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} {اختلّفوا فيمن نزلت على أربعة. أحدها: أنها نزلت فيمن كان يفتن بمكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أن قوما من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ قَائِدًا أَوْ ذِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَدَابِ اللَّهِ} [العنكبوت 10]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى من نجا وقتل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزله حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بعد، لأن المشار إليه وإن كان [قد] عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح.

والرابع: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل.

فأما قوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} فقرأ الأكثرون: «فتنوا» بضم الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فتنوا بمعنى: عذبوا. وقرأ عبد الله بن عامر: «فتنوا» بفتح الفاء والتاء على معنى: من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله، يشير إلى من أسلم من المشركين. وقال أبو علي: من بعد ما فتنوا أنفسهم باظهار ما أظهروا للتقية، لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد.

قوله تعالى: {ثُمَّ جَاهِدُوا} أي: قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَصَبَرُوا} على الدين والجهاد. {إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا} في المكني عنها أربعة أقوال.

أحدها: الفتنة، وهو مذهب مقاتل. والثاني: الفعلة التي فعلوها، قاله الزجاج. والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والصبر. والرابع: المهاجرة. ذكرهما واللذين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي} قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين، إما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: اذكر يوم تأتي. ومعنى {تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل عن نفسه. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوفنا، فقال إن لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثيا على ركبتيه،

حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلة فيقول: «يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي»، وإن تصديق ذلك في كتاب الله {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} وقد شرحنا معنى «الجدالي» في [هود 32].

{وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} قوله تعالى: {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً} في هذه القرية قولان. أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح. والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون، قاله الحسن. فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير، وبيانه: ما روى سليم بن عنز، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسألتهما عنه، فقالا: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: {يُظَلِّمُونَ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً}، تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} عند قتل عثمان رضي الله عنه. ومعنى {كَانَتْ ءَامِنَةً} أي: ذات أمن يأمن فيها أهلها أن يغار عليهم، {مُطْمَئِنَّةً} أي: ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق. وقد شرحنا معنى الرغد في [البقرة 35 58].

وقوله: {مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ} أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام، {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} بتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي واحد الأنعم قولان. أحدهما: أن واحدها «نعم» قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: «نعمة» قاله الزجاج. قال ابن قتيبة: ليس قول من قال: هو جمع «نعمة» بشيء لأن «فعلة» لا تجمع على «أفعل» وإنما هو جمع «نعم» يقال: يوم نعم، ويوم يؤس، ويجمع «أنعما» و«أبؤسا».

قوله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} وروى عبيد بن عقيـل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوف» بنصب الفاء. وأصل الذوق إنما هو بالفم، وهذا استعارة منه، وقد شرحنا هذا المعنى في [آل عمران 106 185]. وإنما ذكر اللباس هاهنا تجوزاً، لما يظهر عليهم من أثر الجوع والخوف، فهو كقوله: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} [الأعراف 26] وذلك لما يظهر على المتقي من أثر التقوى. قال المفسرون: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام

المحترقة. فأما الخوف، فهو خوفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم. والكلام وفي هذه الآية خرج على القرية، والمراد أهلها، ولذلك قال: {يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} يعني به: بتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإخراجهم إياه وما هموا به من قتله. {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ} يعني: أهل مكة {رَسُولٌ مِّنْهُمْ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ} وفيه قولان. أحدهما: أنه الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: القتل بيد، قاله مجاهد. قال ابن

السائب: {وَهُمْ ظَالِمُونَ} أي: كافرون. {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَشُكِّرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عِبَادُونَ} * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ لِمَيْتَةً وَ لِدَيْمٍ وَلَحْمٍ لِّخَنزِيرٍ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ ظُطِرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} قوله تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} في المخاطبين بهذا قولان. أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنهم أهل مكة المشركون، لما اشتدت مجاعتهم، كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن كنت عادت الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاة الثعلبي، وذكر نحوه الفراء، وهذه الآية والتي تليها مفسرتان في {البقرة 172 173}.

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} * مَتَّعُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ} قال ابن الأنباري: اللام في «لما» بمعنى من أجل، وتلخيص الكلام: ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتخرص لما لا أصل له، فجرت اللام هاهنا مجراها في قوله: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: 8] أي: وإنه من أجل حب الخير، لبخيل «وما» بمعنى المصدر، والكذب منصوب ب «تصف» والتلخيص: لا تقولوا لوصق ألسنتكم الكذب. وقرأ ابن أبي عملة: «الكذب» قال ابن القاسم: هو نعت الألسنة، وهو جمع كذوب. قال المفسرون: والمعنى: أن تحليلكم وتحريمكم ليس له معنى إلا الكذب. والإشارة بقوله: {هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ} إلى ما كانوا يحلون

ويحرمون، {لَتَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ لِكَذِبِ} وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحریم إلى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا.
وقوله: {مَتَّعٌ قَلِيلٌ} أي: متاعهم بهذا الذي فعلوه قليل.
{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ يَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ {
قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} يعني به ما ذكر في [الأنعام 126] وهو قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} {وَمَا ظَلَمْتَهُمْ} بتحريمنا ما حررنا عليهم، {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالبغي والمعاصي.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ} قد شرحناه في سورة [النساء 17] وشرحنا في [البقرة 160] التوبة والاصلاح، وذكرنا معنى قوله: {مِنْ بَعْدِهَا} أنفياً.

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ جُنُبًا وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَاهُ فِي لَدُنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {

قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} قال ابن الأنباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة، وفلان علامة، ونسابه، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهمة على الجماعة، وعلى الواحد، كقوله: {فَنَادَتْهُ لِمَلَائِكَةٍ} [آل عمران 39]، وإنما ناداه جبريل وحده. وللمفسرين في المراد بالأمّة هاهنا ثلاثة أقوال.

أحدها: أن الأمّة: الذي يعلم الخير، قاله ابن مسعود، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه المؤمن وحده في زمانه، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثالث: أنه الإمام الذي يقتدى به، قاله قتادة، ومقاتل، أو عبدة، وهو في معنى القول. الأول فأما القانت فقال ابن مسعود: هو المطيع. وقد شرحنا «القنوت» في [البقرة 116 238] وكذلك الحنيف [البقرة 135].

قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُ} قال الزجاج: أصلها: لم يكن، وإنما حذف النون عند سبويه، لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنها إنما احتملت الحذف، لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون

علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف.

قوله تعالى: {شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ} انتصب بدلا من قوله: {أُمَّهُ * قَانِنًا} وقد ذكرنا واحد الأنعم أنفا، وشرحنا معنى «الاجتباء» في [الأنعام 87] قال مقاتل: والمراد بالصراط المستقيم هاهنا: الإسلام.

قوله تعالى: {وَأَتَيْنَهُ فِي لُدِّيَا حَسَنَةً} فيها ستة أقوال. أحدها: أنه الذكر الحسن، قاله ابن عباس.

والثاني: النبوة، قاله الحسن.

والثالث: لسان صدق، قاله مجاهد.

والرابع: اجتماع المل على ولايته، فكلهم يتولونه ويرضونه، قاله قتادة.

والخامس: أنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل بن حيان.

والسادس: الأولاد الأبرار على الكبر، حكاه الثعلبي. وباقي الآية مفسر في [البقرة 130].

{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ تَبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ تَبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} ملته: دينه. وفيما أمر باتباعه من ذلك قولان.

أحدهما: أنه أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. [والثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان، والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري].

وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق.

{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}

قوله تعالى: {إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ} أي: إنما فرض تعظيمه وتحريمه، وقرأ الحسن، وأبو حيوة: «إنما جعل» بفتح الجيم والعين «السبت» بنصب التاء {عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهِ} والهاء ترجع إلى السبت. وفي معنى اختلافهم فيه قولان.

أحدهما: أن موسى قال لهم: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبتغي إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم

موسى بيوم الجمعة، قالوا: نتفرغ يوم السبت، فان الله لم يخلق فيه شيئا، فقال: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انتهوا إلى أمر نبيكم، فأبوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رأى موسى رجلا يحمل قصبا يوم السبت، فضرب عنقه، وعكفت عليه الطير أربعين صباحا. وذكر ابن قتيبة في «مختلف الحديث»: أن الله تعالى بعث موسى بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح.

والثاني: أنه بعضهم استحلوه، وبعضهم حرمه، قاله قتادة. { دُعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ لِمَوْعِظَةٍ لِحَسَنَةٍ وَجَدِلْهُمْ بِلِغَتِكَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } قوله تعالى: { دُعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } قال ابن عباس: نزلت مع الآية التي بعدها، وسنذكر هناك السبب. فأما السبيل، فقال مقاتل: هو دين الإسلام. وفي المراد { بِالْحِكْمَةِ } ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: النبوة، ذكره الزجاج.

وفي { لِحَسَنَةٍ } قولان.

أحدهما: مواظب القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس. قوله تعالى: { وَجَدِلْهُمْ } في المشار إليه قولان.

أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح.

والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل.

وفي قوله: { بِلِغَتِكَ هِيَ أَحْسَنُ } ثلاثة أقوال.

أحدها: جادلهم بالقرآن.

والثاني: ب «لأله إلا الله» روي القولان عن ابن عباس.

والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألن لهم جانبك، قاله الزجاج. وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخ بأية السيف.

قوله تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ } المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك

فيهما بما فيه الصلاح.

{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَصَبَرُوا وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَيْقِلٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ }

قوله تعالى: { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ } في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على حمزة، فرآه صريعا، فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه منه، فقال: «والله لأمثلن بسبعين منهم»، فنزل جبريل، والنبى صلى الله عليه وسلم واقف، بقوله: { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ } إلى آخرها، فصبر رسول الله وكفر عن يمينه، قاله أبو هريرة وقال ابن عباس: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة قد شق بطنه، وجدعت أذناه، فقال: «لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطيور، ولأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم»، فنزل قوله: { لُعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } إلى قوله: { وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ }. وروى الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يومئذ: «لئن ظفرت بقاتل حمزة لأمثلن به مثلة تتحدث بها العرب» وكانت هند وآخرون معها قد مثلوا به، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، ومثلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما من الدهر، لنزيدن على عدتهم مرتين، فنزلت هذه الآية، قاله أبي بن كعب وروى أبو صالح عن ابن عباس أن المسلمين قالوا: لئن أمكننا الله منهم، لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات، فنزلت هذه الآية. يقول: إن كنتم فاعلين، فمثلوا بالأموات، كما مثلوا بأمواتكم. قال ابن الأنباري: وإنما سمى فعل المشركين معاقبة وهم ابتدؤوا بالمثلة، ليزدوج اللفظان، فيخف على اللسان، كقوله: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى 40].

فصل

واختلف العلماء، هل هذه [الآية] منسوخة، أم لا؟ على قولين. أحدهما: أنها نزلت قبل { بَرَاءَةٌ } فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس، والضحاك، فعلى هذا يكون المعنى: { وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ } عن القتال، ثم نسخ هذا بقوله: { وَفَقُلُوا لِمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } [التوبة 5]. والثاني: أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظلم ظلامه، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن سيرين، والثوري، وعلى هذا يكون المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، لا عن القتال.

قوله تعالى: { وَ طَبِيرٌ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } أي: بتوقيه ومعونته. وهذا أمر بالعزيمة.

وفي قوله: { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } قولان.
أحدهما على كفار مكة إن لم يسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس.
والثاني: ولا تحزن على قتلى أحد، فانهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن
أحمد النيسابوري.
قوله تعالى: { وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ } قرأ الأكثرون بنصب الضاد، وقرأ ابن كثير:
«في ضيق» بكسر الضاد ها هنا وفي [النمل 70] قال الفراء: الضيق بفتح
الضاد: ما ضاق عنه صدرك، والضيق: ما يكون في الذي يضيق ويتسع، مثل
الدار والثوب وأشباه ذلك. وقال ابن قتيبة: الضيق: تخفيف ضيق، مثل: هين
ولين، وهو، إذا كان على هذا التأويل: صفة كأنه قال: لا تك في أمر ضيق من
مكرهم. قال: ويقال: مكان ضيق وضيق، بمعنى واحد، كما يقال: رطل
ورطل، وهذا أعجب إلي. فأما مكرهم المذكور ها هنا، فقال أبو صالح عن ابن
عباس: فعلهم وعملهم.
قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا } ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم
به، بالعون والنصر.